ما هكذا يا سعد تورد الابل

قرأت في الجزء السادس من المجلد ١٣ من مجلة المجمع العلمي في دمشق وهو أول ماصدر بعد احتجاب المجلة سنتين كلمة للاستاذ مارون غصن عنوانها « النحت في اللغة العربية وسيلة لتوسيع اللغة » .

وقد استهلها بتعريف النحت في اللغة واستدل على وقوعه في كلام العرب وغيرهم وافاض في بيان ما للنحت من الفوائد وارشد الى الطريقة التي يجب ان يتبعها اهل اللغة .

وأشار إلى أن من يعترض على هذه الطريقة التي ابتدعها من المتعنتين الممسكين بخناق اللغة ..

ثم قال في الختام : فنقدم لارباب المجمع العلمي ولو حجرا واحدا يضاف الى تلك الاحجار التي راح أرباب المجمع يبنون منها قصرا لهذه اللغة .. ما كدت أنتهي من قراءة هذه الكلمة ، حتى استفزتني الغيرة على اللغة وحفزتني الرأفة والاشفاق على أرباب المجمع من هذا الحجر .. واني لا أود إطالة القول في بيان ما لهذه الطريقة الغريبة من الآثار الحسنة في هدم اللغة وازالة رونقها وتشويه نضرتها وابعاد الشقة بين الحاضر والماضي ونحن أمة ليس لنا حاضر فعم نرفع به رؤوسنا في مصاف الأمم الحية وانما لنا ماض مجيد نباهي به الأمم ونقيم عليه صرح حضارتنا الحاضرة وهو لم يتم بعد ، فلا يسعنا قطع الصلة بين الحاضر والماضي لأن كل ناطق بالضاد يشعر بما اشعر به ويدرك ما ادركه من خطر هذه الطريقة .

ولكنني اقول للاستاذ صاحبها : إنني قبل كل شيء من أولئك المتعنتين الممسكين بخناق اللغة الي ان تحيا حياة صحيحة لاتنبو عن القياس ولا تمجها الاذواق ، أو تموت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

موتا شريفاً على هيئتها الحاضرة . أما ان تكون متابعة لكل هوى ، مشايعة لكل هاجس ، وان أتت على صورة يأباها الذوق والقياس فالموت خير لها .

يقول ادباء هذا العصر : الانسان حر في بيان رأيه . ونحن نقول جرياً على هذه القاعدة : الاستاذ حرٌ في بيان رأيه وان كنا نقول من جهة ثانية : قاتل الله الحرية التي وصلت الينا لاننا نذل كل مايعز عند الامم الاخرى ، ونمتهن كل مايكرم لديها ، ولكننا لانسامح الاستاذ ان يدعو الى اتباع طريقته والتمسك باهدابها فان الباحث المعن فيها لايجد فيها شيئاً طريفاً ولا طريقاً لاحبا ولا أسلوبا محبوبا بل جل مافيها ماتستك منه الآذان وتقشعر الابدان .

يقول في كلمه هذه : ان العرب عمدت الى النحت في بعض الكلمات وان الكلمات المنحوتة خفيفة . . ولا بد لنا من الجرأة وعدم التقيد . . وهذا كله حق لاريب فيه ، ولكن ينبغي أن نقدر ذلك على قدر الضرورة وأن نتخذ قاعدة تتفق مع طريقة السلف وأذواق الخلف لا أن نفتح الباب على مصراعيه ونأتي بما دب ودرج .

ويقول ايضا : واستعمل العرب ايضا الالفاظ المنتهية باللفظة (خانه) الفارسية ومعناها بيت فقالوا مطر الخانه ، كتبخانه ، دفتر خانه ، الخ . .

وليته عرّفنا من هؤلاء العرب فانا لا نعرف عربياً يصح الاعتماد على قوله تكلم بمثل هذه الكلمات ، فان كان يريد بهؤلاء العرب مثلي ومثله فهؤلاء لا قيمة لهم عند العلماء ، ولا يزنون جناح بعوضة عند أهل اللغة ، ولا يصح عند أهل العلم أن يحتج لجواز العامي بكلام العامي .

وأغربُ من هذا قوله : لذلك نتمنى أن ما تمّ في الماضي يتمُّ الآن وفي المستقبل ، وذلك بتعميم هذه الطريقة ولا سيما في الالفاظ العلمية ، فنقول مثلاً : صور خانه بمعنى متحف للصور بدلاً من أن نقول متحف للصور . وتماثيلخانه بمعنى متحف للتماثيل وآثار خانه بدلا من دار الآثار ! . .

وأغرب من هذا وذاك قوله : ويمكننا أن نصوغ الصفات والظروف من جميع هذه الألفاظ المنحوتة ، فنقول مثلا : النفقات الصور خانية والاعتمادات الصور خانية الخ . .

ولا نعلمُ السبب الذي حدا الاستاذ على هذا الاختيار والايثار ؟ مع أن هذا ليس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من النحت في شيء ، وإنما هو من باب تلقيح لغة بأخرى .

ولعلّ عنده من بعد الغور ودقة الفكر ما لا تطول اليه مدارك غيره ، وليته أطرفنا ببيان الاسباب التي جعلته يؤثر كلمة صورخانه وما شاكلها (مع أنها ملفقة من كلمتين عربية وأخرى أعجمية) على كلمة متحف للصور مع أنها مؤلفة من كلمتين عربيتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان عند الواقفين على أسرار البلاغة المطلعين على أساليب البلغاء .

وليته أتحفنا ببيان الداعي الى ترجيح النفقات الصور خانية ونحوها على مافيها من نفرة في التأليف وثقل في النطق وجمع بين العربي وغيره — على مثل متحف للصور مع أنها أرقّ لفظاً وأرشق تأليفاً وأشد اتصالاً بالعربية الفصحى ، وما هي الحكمة في ترجيح مثل هذه الكلمات الفظة على ما يقابلها من الفصيح ، وليس ذلك من النحت ولا من التخفيف في شيء ، ولعلّ الاستاذ لم يرَ في فراء المجلة من تسمو مداركه الى فهم ما سمت اليه مداركه فلم يشأ أن ينزل حكمته في واد غير ذي زرع .

وأغربُ من هذا وذاك كله قوله بعدما تقدم : وجرياً على هذه الطريقة نفسها نقول في تعريب Quadrumane أي الحيوانات ذوات الايدي الاربع أربيد فنثني أربيدان ونجمع أربيدات . ونقول في Quadrupède أي الحيوانات ذوات الارجل الاربع اربد جل فنثني اربد جلان ونجمع اربد جلات ونصوغ الصفة : اربيدي واربدجلي ، ونقول في الحيوانات ذوات الثدي : ذوثد ، ذوثدان ، ذو ثدات . ونقول النفسلوجية بدلاً من علم النفس !.. الى آخر ما جاء في هذه المقالة من هذه الطرائف الغريبة .

وأُقسمُ بالله لو أني قبل اليوم سمعتُ قائلا يقول : اربيد واربدجل وذوثد ونفسلوجية وبثني ويجمع هذه الكلمات ما شككت في أنه ساخر يهزأ أو محموم يهذي ، أو أنها من كلام الحكل ، أو من أخوات الخنفشار ؛ إذ ليس عليها مسحة العربية ولا بينها وبينها آصرة تربطها بها ولا جامعة تجمع بينهما .

وإذا شاء الاستاذ أن يحمل كلمتي محمل الاخلاص ، وأن يجلني من نفسه محل الناصح الشفيق ، وأن لا يستفزه الغيظ من الجراءة بالحق والصراحة بالنقد ، فليصغ سمعه الى ما أقول فاني أقول ولا أخشى في الحق لومة لائم : إن النحت مطلوب ومقبول ، اذا اشتمل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على لفظ خفيف على اللسان ، رشيق في التأليف ، قريب من الفهم ، مأنوس في السمع ، وكان وافيًا بالمعنى المراد منه ، وهذا يكتب له الرواج والخلود عند أهل اللغة ، وليس في اربدجل وأخواتها شيء من هذا . فان كان يريد هدم اللغة من أساسها وتشويه نضرتها ، وإفساد جوهرها ، وإدخال الاعجمي والعامي فيها ، حتى تصبح غريبة عن العربية الفصحى فهذه الطريقة أفضل وسيلة لذلك ، وأعظم معول يساعده على إدراك بغيته ، إلا أن نفوس الامة لم تستعد الآن كل الاستعداد لقبول مثل ذلك ، إذ لا يزال فيها بقية من الحرص على سلامة لغتها ، فأجدر به أن يرجئ هذا الرأي الى وقت آخر ، لعله يشاهد زمنًا وأناسًا تروج عندهم هذه البضاعة .

وإن كان يريد خدمة اللغة خدمة حقيقية وإدخال الاصلاح عليها بقدر ما يقتضيه التوسع في العلوم والحضارة ، فانا نقول له ما قاله الشاعر لسعد :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الابل

وبعد هذا فان الحجر الذي قدمه الى أرباب المجمع شجّ دماغ اللغة وأصابت شظاياه أرباب المجمع حتى شغلتهم الآلام عن الردّ أو التعليق على كلمته ، وإن هذا الحجر يصلح أن يبنى منه للغة قبر لا قصر .

وليعذرني الاستاذ في الايجاز ، فاني قد نزلتُ به عند الرغبة ولبيتُ به الطلب ، لأفسح المجال لغيري ، ولأني رأيت في كلمتي هذه ما يقنع المرتاب ، ويكفي أولي الالباب . والسلام على من وعى فتدبر .

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net